

استدراكات على معجم شامل

د. عبد الحكيم أحمد سر الختم جيني

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد فإن قضية الشعر الجاهلي من القضايا التي دار حولها جدل كبير قديماً وحديثاً وما زال حتى عصرنا الحاضر، وما ذلك إلا لخطورة هذه القضية واتصالها بعقيدة المسلمين، إذ القرآن الكريم هو دستور هذه الأمة الإسلامية، فإذا طعن وشك في الشعر الجاهلي فقد طعن وشك فيه، وهذا أمر في غاية الخطورة، لا سيما أن هؤلاء المغرضين قد عرفوا مكانة الشعر الجاهلي عند المسلمين، وعلموا أن علماء الإسلام قد اعترفوا بحاجتهم إلى الشعر؛ للاستعانة به لمعرفة الألفاظ والأساليب الغريبة الموجودة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . من هنا أدرك المستشرقون هذه الحقيقة، فعملوا على رفض الشعر الجاهلي، حتى يغلقوا باباً من أهم أبواب فهم كتاب الله المجيد . ولما كانت هذه القضية (قضية الشعر الجاهلي) بهذه الخطورة، جاء اختيار هذا الموضوع تحت عنوان حاسم (أصالة الشعر الجاهلي بين شبهات المغرضين واعتدال المنصفين) إذ يرى الباحث أنه من الأجدر أن تصدر كلمة (أصالة) عنوان بحث كهذا وليس كلمة (انتحال) كما يحلو لبعضهم .

جاء هذا البحث خدمة لقضايا الدين، بإثبات أصالة الشعر الجاهلي، وتجلية الشك الذي دار حوله، وإيراد الأسباب الأساسية التي دعت المستشرقين وأذئابهم لرفضه، ثم الوقوف على الآراء المعتدلة المنصفة، والآراء المغرضة المحجفة التي تناولت هذه القضية . فمن خلال نظرة المغرضين أمثال مرجليوث وغيره، وهو من من أكثر الذين خاضوا في هذه القضية - يتبين جلياً أن غرضهم من الشك في الشعر الجاهلي هو الطعن في القرآن الكريم والإسلام عامة، وخيه وعقائده، وإعجازه . وأنى لهم ذلك، فقد تصدى للرد على أمثال هؤلاء كثير من الأدباء المنصفين، فدحضوا أدلتهم، وبوروا بضاعتهم .

وقد كان هذا البحث دراسة نقدية موضوعية واقعية، اتبع فيها الباحث المنهج الوصفي والتحليلي للوصول إلى نتائج تؤكد أصالة الشعر الجاهلي، أهمها: أن الشعر الجاهلي أصيل باعتماده على روايات متصلة صحيحة موثوق بها، وأن الذين درسوا الشعر الجاهلي اطمأنوا إلى كثير منه، لم يشكوا فيه ولم يرفضوه، وهذا ما يدل على أصالته. وأن هناك رواة ثقة، هم المحققون الذين كانوا يرفضون الشعر المنحول على أسس علمية منهجية لا لمجرد الظن .

لذلك ينبغي أن لا يبالغ المغرضون من أمثال مرجليوث في الشعر الجاهلي مبالغة تنتهي إلى رفضه .

ويوصي الباحث بعدم الانقياد لما يثيره المستشرقون المغرضون وأتباعهم، ويحذر من خطورة تغلغل مثل هذه الأفكار في مؤسساتنا وجامعاتنا ومناهجنا .

مقدمة:

وتلك قضية حاول مفتعلوها إثارتها للشك في الشعر الجاهلي الذي اعتمد أكثره على الروايات التي تناقلها الأجيال جيل عن جيل حتى عصر التدوين، ولم يكن قائلو الشعر وقتئذ قد دونوه إلا قليلاً منه، وقد أشار إلى ذلك القدماء مراراً وتكراراً، محاولين نفي الزيف عن الشعر الجاهلي، متخذين

أمم أخرى لها نتاج أدبي، وعرفها العصر الجاهلي كما عرفها العصر الأموي والعصر العباسي، بل عرفها العصر الحاضر الذي نعيش فيه على الرغم من وسائل الحضارة الحديثة المنتشرة فيه . ولم يكن النحل مقصوراً على الشعر وحده ، بل شمل كل ما يمت إلى الأدب بصلة (١) .

وهذا البحث سيخصص لقضية تأصيل الشعر الجاهلي بنفي صفتي الوضع والانتحال عنه، فالوضع والنحل والانتحال ظواهر أدبية عامة، لا تقتصر على أمة دون غيرها من الأمم، ولا يختص بها جيل دون غيره من الأجيال، فقد عرفها العرب كما عرفتها

اعتدال وإنصاف لم يصل مرحلة الرفض .

٢- رواة الشعر الجاهلي منهم ثقافة لم يحم حولهم شك .

٤- من المغالاة أن يرفض الشعر الجاهلي كله، أو يزيّف أكثره .

٥- بعض الشعر مدون منذ الجاهلية وصدر الإسلام .

٦- لم تكن الكتابة مجهولة للعرب جهالة مطلقة كما يُتصور .

٧- مهما تكن براعة الوضّاعين فهم قاصرون على أن يفتعلوا مئات القصائد مطابقة للبيئة الجاهلية .

٨- لم يكن غريباً أن يصل إلينا الشعر الجاهلي بلهجة قريش .

٩- لا يغيب عن الدارسين أن بعضاً من الشعر الجاهلي قد ضاع .

١٠- الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا فيه تصوير اللهجات المختلفة والحياة الجاهلية والعلاقات الأسرية والاجتماعية، والصلوات القبلية في الحرب والسلام . وقد تردد فيه ذكر البحر والموج والسباحة والسفن والملاحة والملاحين واللؤلؤ والغواصين .

١١- لم يجهل العرب الموسيقى، فقد تغنوا بالكلام المسجوع الذي يحتوي على موسيقى الوقفات .

مشكل البحث:

يتمثل مشكل البحث في الأسئلة التالية:

١- الشعر الجاهلي أصيل أم منحل موضوع؟

٢- ما هي الأسباب التي دعت للشك في

فهؤلاء المستشرقين وأذناهم حين أثاروا هذه القضية كانوا يرمون إلى مرمى خبيث، لا سيما أنهم قد عرفوا مكانة الشعر الجاهلي عند المسلمين، وأدركوا أن علماءهم المسلمين منذ الصدر الأول للإسلام قد اعترفوا بحاجتهم إلى الشعر العربي؛ للاستعانة به لفتح مغاليق الألفاظ والأساليب الغريبة الموجودة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

من هنا أدرك المستشرقون هذه الحقيقة، فعملوا على رفض الشعر الجاهلي، حتى يغلثوا باباً من أهم أبواب فهم كتاب الله المجيد .

أهداف البحث:

١/ الوقوف على الآراء المعتدلة المنصفة التي التي تناولت الشعر الجاهلي بالنقد الموضوعي الواقعي فانتهت إلى تأكيد أصالة، والآراء المغرضة المجحفة التي حاولت النيل منه .

٢/ إيراد الأسباب الأساسية التي دعت المستشرقين وأذناهم لرفض الشعر الجاهلي، ودحض شبهاتهم وتقنيدها .

٣/ خدمة قضايا التأصيل المعرفي .

فرضيات البحث:

١- هذه القضية " قضية أصالة الشعر الجاهلي " لفتت أنظار الباحثين المحدثين من العرب والمستشرقين فتجادبوا ما بين معتدل منصف ورافض مغرض له هدف خبيث .

٢- هناك أسباب دعت للشك في الشعر الجاهلي لم تكن غائبة عن القدماء الذين تناولوا هذه القضية في

إلى ذلك مقاييس كثيرة، حتى بلغ حرصهم أن أهمل ثقافتهم كل ما روي عن المتهمين أمثال حماد وخلف .

وقد كان المفضل الضبي والأصمعي من أوائل الذين ترصدوا أصالة الشعر الجاهلي، ثم تتابع الرواة النفاة يحققون ويمحصون، منهم ابن سلام في كتابه " طبقات فحول الشعراء " .

ورغمًا عن ذلك، فقد بدء الشك في أصالة الشعر الجاهلي يدب شيئاً فشيئاً، فشك في بعضه تارة، وشك آخرون في كثير منه، ثم امتد إليه الشك ليشمله كله، كما جاء عند مرجليوث وغيره (٢) وما ذلك إلا لهدف خبيث يرمون إليه هو الطعن في القرآن الكريم والإسلام عامة، وحيه وعقائده، وإعجازه، لا سيما أنهم قد عرفوا مكانة الشعر الجاهلي، وأدركوا أن علماءهم المسلمين قد اعترفوا بحاجتهم إلى الشعر العربي؛ للاستعانة به لفتح مغاليق الألفاظ والأساليب الغريبة الموجودة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

وقد أثر الباحث أن يجعل عنوان هذا البحث: (أصالة الشعر الجاهلي بين شبهات المفرضين واعتدال المنصفين) يحاول بمشئونة الله تعالى أن يعرض الشبهات الداعية للشك في هذه الأصالة، ثم يرد على هذه الشبهات ويستخلص النتائج التي يطمئن إليها قلبه .

أسباب اختيار الموضوع:

تأتي أسباب اختيار الموضوع لخطورته وتأثيره على العقيدة والدين،